

السبر عند علماء الحديث وكيفية تطبيقه في العصر الحديث

د. عبد الودود مصطفى السعودي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى أبلغ الحمد وأكمله، وأزكاه وأشمله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المصطفى بتعميم دعوته ورسالته، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى إخوانه من النبيين، وآل كلٍّ، وسائر الصَّالحين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين ..... وبعـد :

فإن علم الحديث من العلوم الشرعية التي له أصول يبنى عليها، وقواعد يحتكم إليها ؛ لتثبيت دعائمه، وضبط مسائله، وتحديد استثناءاته، وشواذه، وقد بلغ علم الحديث الغاية في إحكام الأسس والبنيان، و إرساء القواعد والأركان . ومما عني به المحدثون ضمن ذلك وضع ميزان دقيق للنظر في أحاديث الرواة، وفرز صحيحها وسقيمها، والكشف عن غريبها ومنكرها، ثم إعطاء كل راو الرتبة التي يستحقها في سلم الجرح أو التعديل . وقد تولد هذا عن مسيس حاجة، وإلحاح طلب

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية، من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة .

لاستكمال أهم جزء في ذلك البنيان . وقد تعددت وسائل النقاد في الفحص عن حال الرواة، فمنهم من عاصرهم وصحبهم، فخبر حالهم وحكم عليهم بمقتضى ما عرفه عنهم من صدق وتيقظ، أو خرم ما في عدالة أو ضبط. ومنهم من جمع أقوال الأئمة المتكلمين في الرجال، ورجح بين المختلف فيها، وأعطى للراوي مرتبة استناداً لتلك الأقوال . وهاتان الوسيلتان في الحكم على الراوي خاضعتان لتصور ذلك الناقد، وعلمه وميوله، ونوازع نفسه، ولذلك قد يعتورها بعض ما يعلق بالإنسان من ميل و حيف، أو تشدد و تساهل، ونحو ذلك من العوارض .كما أن كثيراً من الرواة ـ المتقدمين منهم بوجه أخص ـ لا يعرف فيهم ما يرفع جهالة حالهم، ولا وصل عنهم جرح أو تعديل، فكيف العمل مع هؤلاء؟ والكثير من الأحاديث إنما تروى من طريقهم؟ من ثَمَّ كانت الحاجة إلى سبر مرويات الراوي للحكم له أو عليه، فما هو السبر يا تُرى؟ وما هي ألفاظه عندهم؟ وما طريقتهم فيه؟ وما مدى قوته أو ضعفه؟ هذا ما سنتعرف عليه في هذا البحث الوجيز.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون خطَّة الدِّراسة في تمهيد، وثلاثة مباحث، وبيان ذلك فيما يأتي :

* التمهيد : جعلته عن بيان الحاجة إلى السبر، والأنموذج المنتقى للتطبيق عليه من علماء الحديث المتقدمين .
* المبحث الأول : تناولت فيه تعريف السبر في اللغة والاصطلاح، وبيان قوامه.
* المبحث الثاني : ذكرت فيه منهج الجرجاني في سبر الحديث، ومدى قوته في ذلك .
* المبحث الثالث : تحدثت فيه عن مدى إمكانية تطبيق علماء الحديث المعاصرين لسبر علماء الحديث المتقدمين، والحاجة إليه، وبيان الوسائل المطلوبة لذلك .

وأخيراً : فقد حاولت من خلال هذا البحث الإسهام في معالجة هذا الموضوع، معالجة موضوعية، فما كان من صوابٍ فَمِنَ الله عز وجل، وما كان من زلل فمن نفسي، واستغفر الله . ولا غَرْوَ ؛ فإنَّ العصمة والكمال لِمَنْ تَفَرَّدَ بالجلال، وهو حسبي وعليه الاتكال .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة هود) .

*****

تمهيد
بيان الحاجة إلى السبر والأنموذج المنتقى للتطبيق عليه

قد تعددت وسائل النقاد في الفحص عن حال الرواة، فمنهم من عاصرهم وصحبهم، فخبر حالهم وحكم عليهم بمقتضى ما عرفه عنهم من صدق وتيقظ، أو خرم ما في عدالة أوضبط. ومنهم من جمع أقوال الأئمة المتكلمين في الرجال، ورجح بين المختلف فيها، وأعطى للراوي مرتبة استناداً لتلك الأقوال. وهاتان الوسيلتان في الحكم على الراوي خاضعتان لتصور ذلك الناقد، وعلمه وميوله، ونوازع نفسه، ولذلك قد يعتورها بعض ما يعلق بالإنسان من ميل و حيف، أو تشدد و تساهل، ونحو ذلك من العوارض. إن كثيراً من الرواة المتقدمين لا يعرف فيهم ما يرفع جهالة حالهم، ولا وصل عنهم جرح أو تعديل، فكيف العمل مع هؤلاء؟ والكثير من الأحاديث إنما تروى من طريقهم؟ من ثَمَّ كانت الحاجة إلى سبر مرويات الراوي للحكم له أو عليه .

*** الأنموذج المنتقى للتطبيق عليه :**

قد اخترت كتاب «الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني(*)» وذلك لأن استقراء أعمال جميع النقاد التي استُعمل فيها السبر أمر عزيز المنال، صعب المرام، فقد اخترت هذا الكتاب كأنموذج لذلك ؛ لأن الجرجاني - من وجهة نظري - أكثر مَنْ استخدم السبر في كتابه، لأنه عالج عدداً كثيراً من الرواة، في أحاديث متنوعة العلل، وقد حاولت أن أبين كيفية تطبيق ذلك عند علماء الحديث في العصر الحديث .

(*) أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني، ولد سنة ٢٧٧هـ، ومات سنة ٣٦٥هـ .

وقبل الولوج في تفاصيل الموضوع يطيب لي أن أورد بعض ما قيل في الجرجاني، وفي كتابه «الكامل في ضعفاء الرجال» ؛ إشارة لسبب الاختيار، ونبذة مضيئة للقارئ .

قال تلميذه السهمي : "كان أبو أحمد ابن عدي حافظًا متقنًا لم يكن في زمانه مثله"(١) . وقال الخليلي : "عديم النظير حفظًا وجلالة"(٢) . وقال الذهبي : "هو الإمام الحافظ الناقد الجوال... طال عمره، وعلا إسناده، وجرح وعدل، وصحح وعلل، وتقدم في هذه الصناعة "(٣) . وقال أيضًا : "وأما في العلل، والرجال، فحافظ لا يُجارى"(٤) .

وأما كتابه فأول من شهد بأهميته هو الإمام الدارقطني(أبوالحسن علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥ هـ)، سأله السهمي أن يصنف كتابًا في ضعفاء المحدثين؟ فقال له : "أليس عندك كتاب ابن عدي؟ فقلت :نعم. قال : فيه كفاية لا يزاد عليه"(٥). وقال الذهبي : " له كتاب الكامل في معرفة الضعفاء في غاية الحسن"(٦). وقال أيضًا : " ولأبي أحمد بن عدي كتاب الكامل، هو أكمل الكتب وأجلها في ذلك"(٧). وقال السبكي : "وكتاب الكامل طابق اسمه معناه، ووافق لفظه فحواه، من عينه انتجع المنتجعون، وبشهادته حكم المحكمون، وإلى ما يقول رجع المتقدمون، والمتأخرون "(٨).

(١) تاريخ جرجان للسهمي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ= ١٩٧٨م، عالم الكتب، بيروت، ص ٣٦٧ .

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي، ط.الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ج ٢ ص ٧٩٤

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ، ط. التاسعة، ١٤١٣ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١٤ ص ١٥٤ .

(٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ط.الأولى،١٤١٢هـ، دار الكتاب العربي، بيروت .حوادث سنة (٣٦٥)هـ.

(٥) تاريخ جرجان (٣٦٧).

(٦) تاريخ الإسلام، حوادث سنة (٣٦٥)هـ.

(٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، بدون تاريخ، دار المعرفة، بيروت . ج ١ ص ٢ .

(٨) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ط.الأولى، ١٣٨٤هـ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ج ٣ ص٣١٥ .

وبعد استعراض هذه الأقوال، والتمعُّن فيها نجد أن الجرجاني وُصِفَ بالحفظ والإتقان، بل كان في عصره نسيج وحده في ذلك . كما أنه نعت بالناقد المقتدر الذي برع في الصناعة الحديثية من حيث التعديل والتجريح للرواة، والتصحيح والتعليل للأحاديث ؛ وهذا يؤهله ابتداءً إلى مصاف النقاد الكبار الذين ينبغي العناية بأحكامهم. ولا ريب في أن كتابه " الكامل في ضعفاء الرجال " من أفضل ما صُنِّفَ في بابه .

*** منهج الجرجاني في الكامل إجمالاً، ومميزاته :**

كانت خطة الجرجاني في الكامل هي أن يُعَرِّف بالراوي، ثم يورد أقوال علماء الجرح والتعديل للأئمة السابقين عليه كابن معين، وأحمد، والبخاري، وغيرهم . ثم يسوق ما أنكر على الراوي من أحاديث، ثم يحكم عليه بعد أن يسبر حديثه حكمًا عادلاً، لا وكس فيه ولا شطط، إذ يعد الجرجاني من المعتدلين[١] .

*** والمميزات في كتاب الكامل كثيرة ومتعددة أهمها ما يأتي :**

أولاً : حفظه لعدد كبير من نصوص الجرح والتعديل لأئمة ضاعت مصنفاتهم، أو من لا مصنفات لهم مثل شعبة، ويحي بن سعيد القطَّان، وغيرهم[٢] .

ثانيًا : استعماله الأسانيد لكل ما يورده سواء أكان ذلك في عناصر التعريف بالراوي، أم أقوال الجرح والتعديل فيه، أم الأحاديث، أم الآثار المسوقة في ترجمته[٣] .

---

(١) وهذا واضح بين في كل ترجمة وردت في الكتاب تقريبًا إلا من لم يبلغه عنه نص، وهم قليل قياسًا إلى عدد المترجم لهم في الكتاب . انظر مثلاً : كتاب الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني، ط .الثالثة، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م، دار الفكر، بيروت، ج١ ص١٨٩، ج٢ص٦٢٤، ج٣ص١٠٨٢، ج٤ ص ١٤٥٦، ج٥ ص١٨١٦، ج٦ ص٢١٧٨ .

(٢) انظر: الكامل : ١ / ٨١، ١ /١٠٩، ١ / ١١٨، ١ / ١٣٨، ٣ / ١٢٢٩، ٤ / ١٤٥١، ٥ / ١٨٤٠ .

(٣) انظر أي ترجمة مما ذكر قريبًا، أو غيرها فستجد الرواية بالإسناد لكل النصوص المسوقة .

ثالثًا: استيعابه في الجملة لأحاديث المترجم لهم حيث أطال النفس جدًّا فيما ينكر على الراوي في صبرٍ ودأبٍ ظاهرين من أول الكتاب إلى آخره بحيث لا يدانيه - فيما أعلم - أي كتاب آخر، لا سيما في كثرة ما يورده من الغرائب، والمنكرات(١).

رابعًا: قيامه بسبر المرويات، وإخضاعها لفحص دقيق، وموازنتها بروايات الأثبات المُتقنين، ثم إرسال الحكم على الراوي مدللاً، ومعللاً. وهذا ما سيأتي الحديث عنه بالتفصيل قريبًا. وكتاب من هذا الطراز حقيق أن يكون أنموذجًا في بابه، ومثلاً سائرًا في تخصصه، ولهذا تم اختياره للنظر في صنيعه، ثم محاولة الاستفادة من ذلك لدى علماء الحديث المعاصرين، فنقول وبالله التوفيق.

المبحث الأول

تعريف السبر لغةً واصطلاحًا

السبر في اللغة: روز الأمر وتعرف قدره، يقال: خبرت ما عند فلان وسبرته. ويقال للحديدة التي يعرف بها قدر الجراحة: المسبار(٢). وقال صاحب القاموس المحيط: "امتحان غور الجرح، وغيره"(٣). فمادة سبر إذن من معانيها: الاختبار،

---

(١) يظهر ذلك بالموازنة بينه وبين العقيلي(ت٣٢٢هـ) في "الضعفاء"، وابن حبان (ت٣٦٥هـ) في "المجروحين" وهما من نظرائه في باب الضعفاء ؛ حيث يقتصران غالبًا على إيراد الحديث الواحد، والاثنين، وربما الثلاثة، وأحيانا لا يوردون شيئًا، في حين أن الجرجاني قد يذكر العشرة، والعشرين، بل الخمسين، والستين للراوي الواحد!! فالبون شاسع بينهما . ولا يعد هذا تقصيراً منهما، بل لكل واحد وجهة تولاها . كما أن ذلك التميز المشار إليه ليس من باب الكمال المطلق لكتاب دون آخر، فلكل مميزات، وجوانب قوة أو ضعف، وكان الجرجاني في هذا فذًّا، منقطع القرين .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ج٣ ص ١٢٧ .

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي، بترتيب الطاهر أحمد الزاوي ط. الثانية، ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢ ص٥٠٩، وانظر: مختار الصحاح للرازي، ترتيب/السيد محمود خاطر،د.ط،د.ت، دارنهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة. ص١٢١، ١٩٩ .

والامتحان، ومعرفة القدر، والتجريب .

ومصطلح السبر أكثر شيوعًا عند الأصوليين(١)، ولكنه مع ذلك مستعمل عند المحدثين بإطلاقات متعددة، أو بالمعنى نفسه أحيانًا .

السبر في اصطلاح المحدِّثين:

هو استقصاء روايات الحديث الواحد، وتتبع طرقه، ثم اختبارها، وموازنتها بروايات الثقات . فقوام السبر - من ثم - أمران هما :

الأول: استقصاء روايات الحديث: وهذا يعني أن يجمع الناقد روايات الحديث الواحد جمع استقصاء وإحاطة، مستعملاً شتى الوسائل لذلك من سماع، ومكاتبة، ومساءلة، وجمع للنسخ، مستعينًا بالبحث في دواوين السنة المبوبة، والمسندة، منقبًا في المصنفات، والمعاجم، وغيرها، حتى ينبعث اليقين في قلبه بأن كل طرق الحديث -أو معظمها- بين يديه .

الأمر الثاني: الاختبار: أي اعتبار تلك الروايات، والنظر فيمن شورك من رواتها، وتوبع ممن تفرد أو خالف ؛ وهذا يقتضي معرفة متابعات تلك الرواية، وشواهدها، ثم موازنتها مع مرويات الراوي، والحكم عليه .

* إطلاقات المحدثين لاصطلاح السبر:

أرى من المفيد هنا أن أذكر إطلاقات السبر عند أهل العلم : والملاحظ أن أهل الحديث لم يتفقوا على كلمة واحدة له، فبعضهم سمَّاهُ السبر مثل ابن حبان(٢)،

---

(١) ترد في باب القياس عندهم، ويعنون بها : اختبار صلاحية الأوصاف المقارنة للحكم ؛ لتكون علة بعد تقسيمها . أي أن الأصولي يقوم بحصر الصفات التي تصلح للعلية في بادي الرأي، ثم يقوم باختبار كل واحدة منها هل تصلح لذلك أو لا؟ فيبطل مالا يصلح منها، فيتعين الباقي للعلية .انظر: إرشاد الفحول للشوكاني،ط .الأولى،١٤١٢هـ،دار الفكر، بيروت ج٢ ص٨٩٢ .

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ، دار الوعي، حلب، ج١/ ص٣١٤ .قال: وإذا روى ضعيفان خبراً موضوعاً، لا يتهيأ إلزاقه بأحدهما دون الآخر إلا بعد السبر.

وهو الذي اصطلح عليه في هذا البحث. ومنهم من سمَّاهُ المعارضة، كما هو اللفظ عند ابن معين[١]، أو المقابلة كما جاء عند مسلم[٢]، وآخرون أطلقوا عليه الاعتبار[٣]، وبعض المعاصرين سمَّاه المقارنة[٤]، أو الموازنة[٥]، وهذه إطلاقات متقاربة المعاني، والأمر فيه سعة، والله أعلم.

ولكن، هل استعمل الجرجاني السبر؟ وما ألفاظه عنده؟

أشار الجرجاني في مقدمة الكتاب[٦] إلى أنه سيذكر لكل راوٍ ما يضعف من أجله، أو يلحقه بروايته له اسم الضعف، وهو لمحة إلى السبر. أما في ثنايا الكتاب فقد استعمله استعمالاً واسعًا، بل هو الأصل الذي بنى عليه كتابه، كما أنه رجح به في حال الكثير من الرواة المختلف فيهم كما سيتضح من مسلكه قريبًا.

وقد قرأت ما تيسر من ألفاظه الدالة على السبر نصًّا، أو مفهومًا، فوجدت الآتي:

١- " ولم أجد بعد استقصائي لحديثه شيئًا مما ينكر عليه...."[٧].

---

(١) التاريخ، رواية الدوري للغطفاني، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة. ج٢ ص٦٦٧ قال: ربما عارضت بأحاديث يحيى بن يمان أحاديث الناس، فما خالف فيها الناس ضربت عليه.

(٢) التمييز لمسلم، ص٢٠٩، حيث قال: فبجمع هذه الروايات، ومقابلة بعضها ببعض، يتميز صحيحها من سقيمها، وتتبين رواة ضعاف الأخبار من أضدادهم من الحفاظ. وفي هذا النص بين – رحمه الله – عنصري السبر، وهما: الجمع، والاعتبار.

(٣) وبهذا الإطلاق بحثته عامة كتب المصطلح. انظر: مقدمة ابن الصلاح ص١٨٢، وإرشاد طلاب الحقائق للنووي ج١ ص٢٢١، والنكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي ٢/١٦٩، وتدريب الراوي للسيوطي ١/٢٨١، وفتح المغيث للسخاوي ١/٢٤١.

(٤) كذا أطلقه الشيخ /أحمد نور سيف في بحثه النفيس: (دلالة النظر والاعتبار عند المحدثين في مراتب الجرح والتعديل)، المنشور بمجلة البحث العلمي لجامعة أم القرى، (٥٤) العدد الثاني، (١٣٩٩) هـ.

(٥) انظر حاشية النقد عند المحدثين ص ٦٧.

(٦) انظر: الكامل ١/ ١٥، ١٦.

(٧) انظر: الكامل ٣/١٢٤٧، ترجمة سعيد بن كثير بن عفير.

٢- " ولم أر في حديثه شيئًا منكرًا "(١).

٣ - " وسائر ما ذكرت من حديثه، وما لم أذكره كلها محتملة، وأحاديثه عامتها مستقيمة "(٢).

٤- " لم نر في حديثه حديثًا قد جاوز الحد في الإنكار"(٣).

٥- "وكل ذلك لا يرويها غيره، وهو ضعيف جدًّا "(٤).

٦- "والذي ذكرت، والذي لم أذكره – يعني الأحاديث – كلها غير محفوظة، مناكير، ولعل الذي لم أذكره أنكر من الذي ذكرته. ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا"(٥).

٧ - "حدّث بأحاديث لم نكتبها عن غيره، وأوصل أحاديث، وسرق أحاديث، وزاد في المتون... وللأحدب غير ما ذكرت أحاديث لا يتابعه الثقات عليها"(٦).

٨ - "وعامة ما يرويه غير محفوظ، والضعف بَيِّن على رواياته" (٧).

٩ - "ولم أجد لأسامة حديثًا منكرًا جدًّا، لا إسنادًا، ولا متنًا " (٨).

هذا ما وقفت عليه في بعض التراجم نصًّا، وأكثر أحكام الجرجاني تدور حول هذا المعنى، أو قريبًا منه . وهي دالة على أنه سبر حديث هؤلاء الرواة، وميّز ما توبعوا عليه مما لم يتابعوا عليه، والله أعلم .

---

(١) انظر: الكامل ١/١٧٥، ترجمة أحمد بن أوفى البصري.

(٢) انظر: الكامل ١/٤١٦، ترجمة إسرائيل بن يونس.

(٣) انظر: مختصر الكامل في الضعفاء للمقريزي، ط.الأولى،١٤١٥هـ مكتبة السنة، القاهرة،ص٣٧٨، ترجمة سلمة بن الفضل الأبرش.

(٤) انظر: الكامل ٣/ ١١٨٨، ترجمة سعد بن طريف الإسكاف .

(٥) انظر: الكامل ٦/ ٢٣٦٩، ترجمة معلى بن ميمون المجاشعي .

(٦) انظر: الكامل ٦/ ٢٠٤٣، ترجمة الفضل بن محمد الأحدب .

(٧) انظر: الكامل ١/ ٣٦٧، ترجمة أشعث بن براز .

(٨) انظر: الكامل ١/ ٣٨٨، ترجمة أسامة بن زيد بن أسلم .

المبحث الثاني
منهج الجرجاني في سبر الحديث، ومدى قوته في ذلك

الأصل في منهج الجرجاني في سبر الحديث :

لم يختلف منهج الجرجاني في سبر حديث الراوي عن غيره من المحدثين، وقد جاء على النحو الآتي :

أ ـ معارضة مرويات الشيخ بعضها ببعض :

وصورة هذا المسلك أن يكتب الناقد الحديث عن راويه سماعًا، ثم يعود إليه بعد برهة لسؤاله عن الحديث نفسه، فإن وجده لم يغادر حرفًا واحداً علم أنه متقن ثبت، وإن وجده قد خلط بين الروايات، أو وهم على أي صورة كان الوهم، حكم عليه بما يليق من حاله . روى الجرجاني بسنده إلى شعبة قال: " ما رويت عن رجل حديثًا واحداً إلا أتيته أكثر من مرة، والذي رويت عنه عشرة أحاديث أتيته أكثر من عشر مرار، والذي رويت عنه خمسين حديثًا أتيته أكثر من خمسين مرة، والذي رويت عنه مئة حديث أتيته أكثر من مئة مرة، إلا حيان البارقي فإني سمعت منه هذه الأحاديث ثم عدت إليه فوجدته قد مات"(١). وقال يعقوب بن شيبة: "إن شعبة كان إذا لم يسمع الحديث مرتين لم يعتد به "(٢). هذا إنما يكون في حال كون الراوي حيًّا، أما إذا كان بينهما دهر فالحال يختلف حينئذ عن السماع، حيث تعارض رواية الراوي برواياته الأخرى في الحديث نفسه، ثم تعتبر، فيظهر مدى الضبط حينئذ من قوة أو خفة، أو ضعف واضطراب .

(١) انظر: مختصر الكامل للمقريزي ص٦٩ . والنص في الكامل ١ / ٨٨، إلا أنَّ فيه تحريفًا وتصحيفًا.

(٢) شرح علل الترمذي لابن رجب تحقيق نور الدين عتر، ١٣٩٨هـ، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ج١ص١٧٦ .

فابن حبان(ت٣٥٤هـ) مثلاً، بينه وبين ابن لهيعة (ت١٧٤هـ) قرابة قرنين من الزمان، فالسبيل في سبر حديثه حينئذ هو معارضة مروياته بعضها ببعض، قال في ترجمته: "قد سبرت أخبار ابن لهيعة من رواية المتقدمين والمتأخرين عنه، فرأيت التخليط في رواية المتأخرين عنه موجوداً، وما لا أصل له من رواية المتقدمين كثيراً........"(١).

والجرجاني – رحمه الله – سار على المنوال نفسه مع الرواة الذين سبقوه، ففي ترجمة سعيد بن بشير(٢) – مثلاً– ذكر حديث عائشة في قصة دخول أسماء في ثياب شامية على رسول الله ﷺ من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن خالد بن دريك، عن عائشة قالت: دخلت أسماء بنت أبي بكر على رسول الله ﷺ وعليها ثياب شامية رقاق، فأعرض عنها... الحديث. ثم قال الجرجاني: "ولا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير". وقال مرة فيه: عن خالد بن دريك، عن أم سلمة، بدل عائشة(٣).

وهذا يعني أن الجرجاني عارض رواية سعيد الأولى مع الثانية، وتبين له أنه يضطرب في إسناده، فتارة يرويه هكذا، وفي أخرى هكذا.

ب ـ معارضة مرويات الراوي بروايات الثقات:

استدعى صنيع المحدثين لمعرفة الراوي المحتج به، ثم المعتبر به، ثم الساقط، وضع ميزان دقيق ينخل فيه الرواة نخلاً، وينقر عنهم تنقيراً للوصول إلى القول الفصل فيهم. وكان هذا الميزان هو المعارضة لحديث الراوي. قال ابن الصلاح: "يعرف كون الراوي ضابطًا بأن تعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة – ولو من حيث المعنى– لرواياتهم، أو موافقة لها في

(١) انظر: كتاب المجروحين ٢ / ١٢.
(٢) انظر: الكامل ٣ / ١٢٠٩.
(٣) انظر: الكامل، الموضع نفسه.

الأغلب، والمخالفة نادرة، عرفنا حينئذ كونه ضابطًا ثبتًا. وإن وجدناه كثير المخالفة لهم، عرفنا اختلال ضبطه، ولم نحتج بحديثه، والله أعلم "(١).

وهذا المنهج الدقيق الذي كشف عنه ابن الصلاح هو الأكثر ممارسة في صنيع النقاد من الأولين والآخرين، وهو الوسيلة المُثلى لمعرفة ضبط الراوي لحديثه، وهي الأكثر شهرةً وانتشاراً. وقد تتبعت جملة من التراجم في كامل الجرجاني، وفحصت مسلكه في باب المعارضة فظهر لي أن تطبيق المؤلف لهذه القاعدة له صور متعددة تتلخص في جملتها في الكشف عن العلة، ومخالفة الثقات . قال الذهبي: "ثم اعلم أن أكثر المتكلم فيهم ما ضعفهم الحفاظ إلا لمخالفتهم الأثبات"(٢).

والحق أن التعليل بالعلل الظاهرة تتناثر في كتاب الكامل، وتتكاثر بحيث يسهل على المطلع الاهتداء إليه خصوصًا ما صاحبه تعليق من المؤلف. ونظراً لطولها فقد قسمت الكلام عن تعليله إلى قسمين: الأول متعلق بالسند، والآخر بالمتن. وفيما يلي ذكر نماذج من سبره، وكشفه عن العلة في السند، ثم المتن:

أ ـ القسم المتعلق بالسند: وهو أنواع، وقفت على ما يلي:

١ـ رفع الموقوف: حيث يقول تارة: "ولا أعلم رواه عن ابن عون فصيره شبه المسند إلا سالم بن نوح، وعثمان بن الهيثم المؤذن... وغيرهما رووه عن ابن عون فأوقفوه على عبد الله "(٣). ويقول أخرى: " ولا أعلم أحداً رواه عن عبيد الله غير سعيد بن عبد الرحمن "(٤).

٢ـ وصل المرسل: كأن يقول مثلاً: "وهذا وصله جعفر بن عون عن ابن أبي

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح ص٢٢٠ .

(٢) الموقظة، ص ٥٢ .

(٣) انظر: الكامل ٣ / ١١٨٥ .

(٤) انظر : الكامل ٣ / ١٢٣٦ .

عروبة، وغيره أرسله "(١). وأحيانًا يسوق الحديث موصولاً ثم يعله بالإرسال كقوله مثلاً: "وهذا رواه غير سفيان بن وكيع فأرسله "(٢).

٣ـ الاختلاف على رجل في السند: كقوله مثلاً: " وهذا الحديث اختلف فيه على نافع على عشرة ألوان أو قريب منه..."(٣). أو كقوله: " وهذا اختلف على يحيى بن سعيد، وكل الاختلاف فيه عليه ليست بمحفوظة "(٤).

٤ـ إبدال صحابي بآخر، والحديث معروف عن الأول: فقد قال في حديث ابن أم مكتوم في طلب رخصة الصلاة في البيت:" هكذا يرويه أبو سنان، عن عمرو بن مرة عن أبي رزين، عن أبي هريرة، ورواه عاصم بن أبي النجود، عن أبي رزين، عن ابن أم مكتوم أنه قال: يا رسول الله ... "(٥).

٥ـ إبدال راو بآخر: فقد عقب على حديث أبي هريرة في زنى الأمة، فقال: "وذكر الأعمش غير محفوظ، إنما هو الثوري عن حبيب نفسه "(٦).

٦ـ جمع الشيوخ في سند واحد، وجعل المتن واحداً مع الاختلاف في رواياتهم: كقوله مثلاً: " ولم يذكر الليث الصدمة الأولى، وذكر الليث في هذا الإسناد إنما هو من عمل ابن وهب، جمع بين الليث وعمرو بن الحارث فحمل حديث أحدهما على صاحبه، فقال: عنهما جميعًا، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس "(٧).

٧ـ رواية حديث بسند يروى به في الأصل حديث آخر: فقد قال في حديث

(١) الكامل ٣ / ١٢٣٣ .
(٢) الكامل ٣ / ١٢٥٤ .
(٣) الكامل ٣ / ١٢٤٢ .
(٤) الكامل ٣ / ١٢٣٩ .
(٥) الكامل ٣ / ١٢٠٠ .
(٦) الكامل ٣ / ١١٩٤ .
(٧) الكامل ٣ / ١١٩٣ .

النهي عن استقبال القبلة بالبول، أو الغائط الذي روي من طريق ورقاء، عن سعد ابن سعيد، عن عمر بن ثابت، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ... قال الجرجاني: "فهو غريب، غريب هذا المتن بهذا الإسناد؛ لأن بهذا الإسناد لا يعرف إلا من صام رمضان، وفي حديث ورقاء جمع بين المتنين"(١).

٨ - إبدال بعض السند جريًا على الجادة: وقد وقع هذا في ترجمة سفيان بن وكيع بن الجراح، فقال الجرجاني: " وهنا قد زل فيه سفيان بن وكيع، أو لقن، أو تعمد حيث قال: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن الزهري، وكان هذا الطريق أسهل عليه، وإنما يرويه ابن وهب... "(٢).

٩- الإعلال بالتسوية: كقوله في ترجمة سفيان الفزاري: "فسواه سفيان الفزاري فقال: عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر.... وإنما يروي هذا عن جعفر بن محمد، عن جماعة من أهل بدر، عن النبي ﷺ ... "(٣).

١٠- الإعلال بالتفرد: وهو أكثر أنواع التعليل عنده، وله في ذلك استعمالات شتى: - كأن يقول مثلاً: "ولم يقل أحد في هذا الحديث ابن المنكدر، عن أنس غير سلمة الأحمر"(٤). - أو يقول: "ولا أعلم رواه عن فرات القزاز غير ابنه الحسن، وعن الحسن سلمة بن رجاء، وعن سلمة بن كاسب"(٥). - أو يقول: "يرويه عن يونس بهذا الإسناد سالم بن نوح، ولا أعلم رواه عن سالم غير محمد بن عبد الله بن حفص"(٦). - أو يقول: "وهذا عن قتادة عن أنس، لا يرويه عن قتادة غير سعيد بن بشير"(٧). - وقد يقابل التفرد بذكر الشهرة كأن يقول:

(١) الكامل ٣ / ١١٨٩ .
(٢) الكامل ٣ / ١٢٥٤ .
(٣) الكامل ٣ / ١٢٥٥ .
(٤) الكامل ٣ / ١١٧٧ .
(٥) الكامل ٣ / ١١٧٩ .
(٦) الكامل ٣ / ١١٨٣ .
(٧) الكامل ٣ / ١٢١٠ .

"وهذا مشهور عن حميد بن هلال، رواه عنه جماعة، ومن حديث قتادة عن حميد بن هلال غريب، لا أعلمه يرويه عن قتادة غير سعيد بن بشير"[١]. – أو يقول: "وهذا معروف عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، فأما عن يونس بن عبيد، فما أعلم عنه غير سالم"[٢].

١١- وقد يعل الحديث بأنه ليس له أصل من حديث فلان: كقوله في ترجمة سفيان الفزاري بعد أن ذكر أسانيد حديث (ما أسكر كثيره...) قال: "وأما من حديث محمد بن المنكدر، عن عروة فليس له أصل"[٣].

١٢- وقد يعله بالخطأ في سنده[٤]، أو أنه سرقه جماعة من فلان مثلاً[٥]، أو أنه لا يرويه مصري عن فلان مثلاً، وإنما يرويه قوم غرباء[٦]. وأحيانا يومىء إلى العلة إيماءً ولا يصرح، وبعد البحث ينكشف أن هناك علة قوية في سنده، فقد قال – مثلاً – في حديث ابن عباس: صلى رسول الله ﷺ بالناس خمسًا. قال: "لا أعلم يروي عن منصور هذا الحديث غير سعيد بن بشير، ثم ظهر أن هناك قلبًا في سنده"[٧].

ب- القسم المتعلق بالمتن: وهذا النوع أقل من الأول نسبيًا، فتارة يعله بعد سوقه بأنه متن منكر[٨]، أو باطل منكر[٩]، أو منكر الإسناد والمتن[١٠]، أو

(١) الكامل ٣ / ١٢١٠ .
(٢) الكامل ٣ / ١١٨٣ .
(٣) الكامل ٣/ ١٢٥٥ .
(٤) الكامل ٣/ ١١٩٩ .
(٥) الكامل ٣/ ١٢٤٨ .
(٦) الكامل ٣/ ١٢٥٦ .
(٧) الكامل ٣/ ١٢١٢ .
(٨) الكامل ٣/ ١٢١٠، ٣/ ١٢٥٤ .
(٩) الكامل ٣/ ١٢٥٥ .
(١٠) الكامل ٣/ ١٢٤٨ .

غريب[١]، أو ليس بمحفوظ[٢]، أو أن في متنه زيادة[٣]، أو ينقل عن شيخ له بأنه ليس عندهم هذا الحديث بالبصرة[٤]. وكثيراً ما يكشف المخالفة بعرض رواية المترجم له على رواية الثقات سواء أكانت روايتهم في الصحيحين أم لا، دون إشارة إلى أي علة، بل يسوق الرواية المنكرة، ثم يسكت تاركًا ذلك لتمييز المختص. فمثلاً حديث. (من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة)[٥]. حيث أخرجه الجرجاني من طريق سلمة بن وردان، حدثنا أنس بن مالك قال: أتاني معاذ بن جبل، فقلت: من أين؟ قال: من عند رسول الله. قلت: فما حدثكم؟ قال: قال ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة). قال: قلت: أفلا آتيه فأسمعه؟ قال: بلى. فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن معاذ بن جبل حدثني أنك قلت:)من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة(قال: صدق معاذ، صدق معاذ، صدق معاذ)، فقد رواه الشيخان[٦]، بل هو متواتر، فأين العلة فيه؟ ظاهره السلامة من العلل تمامًا، وموضع العلة فيه هو تصريح أنس بأن معاذاً حدثه، أما الرواية الصحيحة التي أخرجها الشيخان فهي: عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك، أن النبي ﷺ – ومعاذ رديفه على الرحل – قال يا معاذ بن جبل. ورواية البخاري الأخرى[٧] هي أن أنسًا قال: (ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ...) أي إن هناك واسطة بين معاذ وأنس، طويت في الرواية الصحيحة، وتبع سلمة بن وردان الجادة فساقها سماعًا لأنس.

وأحيانًا يكشف الجرجاني تفرد من لا يحتمل تفرده من المترجم لهم في كامله

(١) الكامل ٣/١٢١٠، ٣/١٢١١.
(٢) الكامل ٣/١٢٢٤، ٣/١٢٤٢.
(٣) الكامل ٣/١٢٢٥.
(٤) الكامل ٣/١١٨٥.
(٥) الكامل٣/١١٨١.
(٦) أخرجه البخاري في كتاب العلم، ومسلم في كتاب الإيمان.
(٧) في صحيحه في كتاب العلم.

بعرضها على رواية المتقنين من أقرانه وغيرهم، فيظهر ذلك التفرد واضحًا جليًّا .

ومن أمثلة ذلك ما أخرجه الجرجاني[١] من طريق سالم بن نوح العطار، ثنا يونس بن عبيد، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها...) الحديث. ثم قال: "وهذا معروف عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، فأما عن يونس بن عبيد فما أعلم رواه عنه غير سالم". وقد أبان تخريج هذا الحديث أن تسعة أئمة ثقات أثبات خالفوا سالمًا العطار فجعلوا الرواية عن قتادة عن أنس، منهم خمسة أئمة روايتهم في الصحيح هم: مسعر، وهشام عند الشيخين[٢]. والباقون وهم: أبو عوانة، وسعيد بن أبي عروبة، وشيبان عند مسلم وحده[٣]، والباقون: همام عند أحمد[٤]، وحماد ابن سلمة، وعفان، وأبان عند البيهقي[٥] .

* مدى قوة سبر الجرجاني أو ضعفه:

بادئ ذي بدءٍ، أودُّ أن أقول: إن السبر ليس عملية سهلة يمكن لأي محدث القيام به، بل هذا من عمل النقاد الجهابذة الذين أفنوا جزءًا كبيرًا من أعمارهم في جمع الروايات، وكان همهم في رحلاتهم الطويلة تتبع الضعفاء، والتنقير عن أنبائهم، وكتابة نسخهم بالغة ما بلغت .

وهب أن محدثًا توفرت عنده هذه الأسباب، فإن هذا وحده لا يكفي، بل ينبغي أن يكون للقائم على عملية السبر حاسة نقدية قوية تمكّنه من تحديد موضع العلة بدقة، وضرب الأمثال في هذا يغني عن التوسع في الكلام.

---

(١) الكامل ٣ / ١١٨٣ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العتق (٥ / ١٦٠ / ٢٥٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان (١ / ١١٧) كلاهما من طريق مسعر. وأخرجه البخاري في كتاب النكاح (٩ / ٣٨٨ / ٥٢٦٩)، ومسلم في كتاب الإيمان (١ / ١١٧) كلاهما من طريق هشام.

(٣) أخرج روايتهم مسلم في كتاب الإيمان (١ / ١١٦، ١١٧).

(٤) أخرجه أحمد ٢ / ٤٩١، من طريق همام، عن قتادة.

(٥) أخرج روايتهم البيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٢٩٨ .

لنأخذ مثلاً حديثًا واحدًا أخرجه الجرجاني من طريق يعقوب بن كاسب، ثنا سلمة بن رجاء، عن الحسن بن الفرات، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نهى أن يستنجى بعظم أو روث، وقال: (إنهما لا يطهران)(١)، فالجزء الأخير منه ضعيف. وقد علّق الجرجاني – مشيراً إلى تفرد بعض رواته – فقال: "ولا أعلم رواه عن فرات القزاز غير ابنه الحسن، وعن الحسن سلمة بن رجاء، وعن سلمة ابن كاسب"(٢).

ويجد الباحث في سند هذا الحديث أن فيه ثلاثة ضعفاء على نسق واحد، هم: الحسن بن الفرات، وسلمة بن رجاء، ويعقوب بن كاسب، فيصعب جداً إلصاق الوهم بأحدهم، لا سيما أنه لا يوجد متابع لأيٍّ منهم.

ومما يزيد الأمر توعراً أن الممارس للسبر يجد نفسه أحيانًا أمام استبهام واستغلاق شديدين، أو تناقض واضطراب مشتتين، سيما وأن الأمر غير مطرد في كل حديث على نسق واحد، فتارة يسفر التفتيش عن ضعف جميع طرق الحديث(٣)، وتارة ينبلج عن سلامة ضبط الراوي لتجانس ما يرويه مع روايات الأئمة المتقنين(٤)، وفي أخرى يختلط هذا بهذا أي ما يعرف وما ينكر. وإذا أضيف إلى هذا كثرة الطرق والأوجه للحديث الواحد؛ فاعلم أن الليل قد

(١) الكامل ٣/١١٧٩.

(٢) الكامل، الموضع نفسه.

(٣) انظر: الكامل ٣/١٢٨٤حديث ابن عباس مرفوعًا: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب" وقد تتبعت طرقه فتبين لي أن جميع طرق الحديث لا تخلو من ضعف شديد أو اضطراب. ويكفي أن المتقدمين مجمعون على ضعفه على تفاوت بينهم مثل يحي بن سعيد القطان، وابن معين، وأحمد، والبخاري، وأبوزرعة، وأبوحاتم، ومطين، وابن حبان، والجرجاني، والدارقطني، والذهبي. وانظر بعض هذه الأقوال في: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري ط. الثانية ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت٧/١٣٨، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٣٤٨.

(٤) انظر: الكامل ٣/١٢٣٥، حديث جابر مرفوعًا: "حصى الجمار مثل حصى الخذف" رواه الجرجاني من طريق سعيد بن سالم القداح، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر به. وقد توبع صاحب الترجمة سعيد بن سالم بمحمد بن بكر، عن ابن جريج به عند مسلم في كتاب الحج.

عسعس، والظلام قد حندس، وفي ذلك المضمار لن تجد سوى المتقدمين كأمثال ابن المديني، وأحمد، وابن معين، والبخاري، ومن استنهج سبيلهم، واستضاء بأقوالهم، وأحكامهم من المتقدمين، والمتأخرين .

والحاصل : أن هناك صعوبة كبيرة في إجراء عملية السبر، والناقد إذا اجتهد في جمع طرق الحديث الواحد، لبيان المدار، ثم عكف على معارضة رواية الراوي المقصود بالحكم مع روايات الثقات، آخذاً في الاعتبار قواعد النقد، دون إغفال أقوال المتكلمين في الراوي، واستنفد وسعه في ذلك، فإن ذمته تكون حينئذ قد برئت، وإذا تبين بعد ذلك أن هناك شيئًا ما قد فاته فلا يضره ذلك، والله أعلم.

*****

المبحث الثالث

إمكانية تطبيق علماء الحديث المعاصرين لسبر علماء الحديث المتقدمين

* إمكانية تطبيق المعاصرين لسبر المتقدمين : وبعد هذه الجولة القصيرة مع واحد من الأفذاذ المتقدمين في مسألة علمية واحدة هي السبر، يسوغ لنا أن نتساءل: هل يمكن تطبيق ذلك من المعاصرين؟ وهل لعلماء وأساتذة الحديث في هذا العصر طاقة للقيام بهذا الأمر؟ أم لا قبل لهم به؟ وهل لو توجهت عصبة من أهل العلم والفضل لهذا الموضوع، هل يسعفها الحال للاضطلاع بما يفوض إليها ؟ أو أن هذا العمل ضرب من الخيال ؟

الجواب يقتضي إمكانية تطبيق ذلك في العصر الحديث، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك: هل هناك حاجة للعناية بهذا الأمر؟ وإذا تأكد ذلك فما هي

الوسائل الكفيلة بتحقيقه على أحسن وجه؟ وما المنهج العلمي الأمثل، والأولى بالاتباع للوصول إلى الأكمل؟ ولنحاول الجواب عن هذه الأسئلة، فنقول وبالله التوفيق:

١ـ مدى إمكانية تطبيق المعاصرين لسبر الأحاديث :

من المعلوم أن السبر أساس التصحيح والتضعيف، وفرع عنهما في آنٍ، ولا يصح القول بأنه قصر على المتقدمين، فذلك رأي قد أفل، إذ بقيت الصناعة الحديثية قائمة في كل عصر تقريبًا تضمر أحيانًا وتقوى أحيانًا أخرى. ولو تأملنا قليلاً لوجدنا أن القرن الثامن والتاسع الهجريين أنجبا كوكبة من المحدثين النبهاء الذين صححوا وحسنوا، وضعفوا وزيفوا العشرات من الأحاديث . ومَنْ مِنَ المتأخرين في عصرنا لا يرجع ـ بقلة أو كثرة ـ إلى أقوال الإمام النووي، أو الذهبي، أو العراقي، أو ابن حجر؟!

أضف إلى ذلك أن الكثير من العلماء في هذا العصر، وطلبة العلم وردوا هذا المضمار وتسابقوا فيه، فهو قائم أصلاً وإن كانت تنقصه أحيانًا الدربة الكافية، والأخلاق العالية . والخلاصة أن هذا ممكن من الناحية النظرية على الأقل، وليس القول به بدعًا ولا حدثًا .

٢ـ الحاجة إلى العناية بهذا الأمر :

هناك حاجة ماسة للعناية بعلوم الحديث إجمالاً كتعليم الطلاب القراءة الحديثية، وحفظ عدد مناسب من الأحاديث العقدية، والفقهية، والآداب، وغيرها للتعبد أولاً، ثم للاستدلال، والاحتجاج ثانيًا . كما أن الحاجة قائمة سواء بسواء إلى تدريب الطلاب على القيام بسبر الأحاديث، وتعلم الصناعة الحديثية للأسباب التالية :

* وجود عدد لا بأس به من الأحاديث التي مازالت بين الأخذ والرد، بين المحدثين

أنفسهم، وكذا بين المحدثين والفقهاء، وغيرهم .

* محاولة تضييق شقة الخلاف بين المذاهب الفقهية في الاستدلال، والاحتجاج.

* تجدد حاجة الأمة في كل عصر بحسبه، وفي هذا العصر ظهرت قضايا ومشكلات جديدة، فيحتاج إلى سدّ هذه الثغرة من جهة الحديث النبوي .

* حسم الفوضى القائمة في الساحة الإسلامية بتعلم القواعد والضوابط الخاصة بهذا العلم .

* تخريج أجيال لها دراية علمية بعلم الحديث ؛ لتسهم في النهوض بهذا الفن الجليل .

٣- الوسائل المطلوبة للقيام بنهضة علمية في الحديث النبوي :

يمكن تقسيمها إلى مستويين أساسيين هما : مستوى أدنى، وأعلى :

أ - المستوى الأدنى: لا ريب أن مقرر الحديث النبوي مازال يُدرس دراسة باهتة في كثير من المؤسسات التربوية حيث تنعدم فيه الروح، ويقدم بصورة هي أقرب إلى الحشو والتلقين منها إلى تربية الوجدان، وتقويم السلوك ؛ وهذا أدى إلى تفريغه من مضمونه، وغدا يقترن أحيانًا عند تدريسه للطلاب بمنكرات ظاهرة . ودفعًا لهذه السلبيات المؤثرة على الأداء والعطاء، وإحياءً للسنة المحمدية الغرّاء ؛ ينبغي مراعاة ما يأتي:

* تخصيص ساعات أكثر للحديث النبوي في جميع المؤسسات التربوية، وعلى مختلف المستويات، ولاسيما الجامعية منها إذ من المعلوم أن تضييق الزمن المقرر للحديث أدى في كثير من الأحيان إلى اختزال المادة العلمية في نقاط لاتسمن ولا تغني من جوع .

* وضع مقررات علمية في الحديث النبوي تجمع بين العمق في المادة، والسهولة في

العبارة، وتناسب العقول والأفهام حسب كل مرحلة دراسية .

* توفير المصادر الحديثية، والمراجع العلمية الخاصة بأنواع علوم الحديث في المكتبات المدرسية، والجامعية على وجه الخصوص، وتجديد ما قدم منها بنسخ حديثة ومحققه، مناسبة لطبيعة العصر.

* توفير الأجهزة الحديثة المساندة مثل الحاسوب، وأسطوانات الليزر (C.D) التي تُعنى بتخريج الحديث النبوي، وتدريب الطلاب عليها، مع التحفظ من أخطائها الكثيرة أحياناً .

* العناية بالتأصيل عند تدريس هذه المادة في المراحل الجامعية، والدراسات العليا.

* تدريب الطلاب على عملية التصحيح والتضعيف، وإطلاعهم على كيفية سبر الأحاديث عند أئمة النقد المتقدمين، وذلك إن استوفوا المرحلة التي تؤهلهم لذلك من حيث استيعاب القواعد، والضوابط، والمناهج .

* تكثيف القراءة في كتب المحدثين لاسيما المتقدمين منهم ؛ لمعرفة المعاني، واستيعاب المصطلحات، وفك المستغلق، وتذوق العبارات .

* ربط كل ذلك بتقوى الله عز وجل، ومحبة النبي ﷺ، وخدمة الدين، مع التذكير دومًا بتصحيح النيات .

ب ـ المستوى الأعلى : إذا كانت هناك رغبة جادة في إحياء السنة النبوية علمًا وسلوكًا، فلابد من تكاتف الجهود وتظافرها من جميع من له يد عليا من علماء، وأساتذة، ومتخصصين، ورجال دعوة ... وغيرهم، بالقيام على الآتي :

* إنشاء مراكز خاصة بخدمة السنة النبوية : وتوفير ما تحتاجه من هيئة إدارية، وخدمات، ودعم مالي، ومعنوي. والأهم من ذلك كله هو تفريغ علماء، ومتخصصين، في مختلف علوم الحديث، وكذا العلوم الأخرى المساندة له ؛

لطبع كنوز السنة النبوية التي مازالت حبيسة المكتبات، وأقسام المخطوطات شرقًا وغربًا، ولإعادة طبع كتب السنة المطبوعة على نحو يليق بها .

* إقامة كليات متخصصة في الحديث النبوي: تشمل أقسامًا متخصصة في أهم أنواع علوم الحديث، ويتبع ذلك إنشاء أقسام علمية للدراسات العليا، وتطويرها باستمرار، وتشجيع الطلبة على الالتحاق بها للقيام بدراسات جادة، وتحقيقات دقيقة .

* تكوين أساتذة أكفاء في علم الحديث النبوي: يجمعون بين العلم الكافي في تخصصهم، وفهم ضرورات العصر، وحاجياته، واكتشافاته العلمية، والتطبيقية.

* إنشاء جهة علمية مدربة : تقوم على استحداث برامج، وقواعد بيانات لعلم الحديث النبوي، وإدخال المصادر المرجوع إليها كثيرًا في المراحل الأولى، ثم كل ما تعلق بالحديث في المراحل الأخيرة، وتقسيمها إلى أنواع بحسب حاجة الباحث، والمراجع. وينبغي الاستفادة قدر الإمكان من التقنيات الحديثة في الكتابة، والطباعة، والتخزين، وغير ذلك .

وختامًا ..... فهذا ما تيسر إيراده في هذه العجالة حيث طوفنا في منهج الجرجاني في كتابه (الكامل في ضعفاء الرجال)، من حيث سبره وتعليله، ثم رمت محاولة تطبيق طريقته عند المعاصرين . وتبين لكل ذي عينين أن المسلك داني الملتمس، سلس المطلب إذا توفرت الشروط، وصحت النيات؛ لأن العبء كبير، لا ينوء به سوى الأكفاء، الراغبون في خدمة الدين، ومرضاة رب العالمين .

والحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة .

*****

ثبت المصادر والمراجع

١-إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق للنووي ، (أبي زكريا يحي ابن شرف النووي،٦٣١هـ-٦٧٦هـ) ، بتحقيق/عبد الباري السلفي ، ط. الأولى ، ١٤٠٨هـ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

٢-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ، (محمد بن علي ابن محمد بن عبد الله الشوكاني،١١٧٢-١٢٥٠هـ)، بتحقيق/ محمد سعيد البدري ، ط . الأولى ، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م ، دار الفكر ، بيروت .

٣-الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي، (أبي يعلي الخليل بن عبد الله ابن أحمد) ، بتحقيق / محمد سعيد بن عمر إدريس ، ط.الأولى ، ١٤٠٩هـ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

٤-الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للقاري ، (علي بن محمد بن سلطان المشهور بملا علي القاري) ، بتحقيق/ محمد بن لطفي الصَّبَّاغ ، ط.الثانية ١٤٠٦هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٥ - التاريخ ، رواية الدوري للغطفاني ، (أبي زكريا يحي بن معين الغطفاني)، بتحقيق/ أحمد محمد نورسيف ، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م ، منشورات جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة .

٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي ، (أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي،٦٧٣-٧٤٨ هـ) ، بتحقيق/عمر عبد السلام تدمري ، ط.الأولى ، ١٤١٢هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٧- تاريخ جرجان للسهمي ، (أبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي) ، الطبعة

الرابعة ، ١٤٠٧هـ= ١٩٧٨م ، عالم الكتب ، بيروت .

٨ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ، (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت٩١١هـ)، بتحقيق/ نظر محمد الفاريابي ، ١٤١٥هـ، مكتبة الكوثر ، الرياض .

٩ـ التمييز ، (لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ٢٠٤-٢٦١هـ) ، بتحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي ، ط.الثانية ، ١٤٠٢هـ ، شركة الطباعة العربية ، الرياض .

١٠ـ دلالة النظر والاعتبار عند المحدثين في مراتب الجرح والتعديل ، للشيخ/ أحمد نور سيف ، بحث منشور بمجلة البحث العلمي لجامعة أم القرى (٥٤) العدد الثاني (١٣٩٩) هـ.

١١ـ السنن الكبرى للبيهقي،(أبي بكرأحمد بن الحسين بن علي البيهقي،٣٨٤-٤٥٨هـ)، بتحقيق/ محمد عبد القادرعطا ، د. ط ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة .

١٢ـ سير أعلام النبلاء للذهبي، (أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، ٦٧٣-٧٤٨ هـ) ، بتحقيق / شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط. التاسعة ، ١٤١٣ هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٣ـ شرح علل الترمذي ، (لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب) ، بتحقيق/ نور الدين عتر، ١٣٩٨هـ ، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء .

١٤ـ الضعفاء الكبير للعقيلي، (أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي)، بتحقيق/عبد المعطي أمين قلعه جي ، ط.الأولى ، ١٤٠٤هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .

١٥ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، (عبد الوهاب بن علي السبكي) ، بتحقيق/ محمد الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو ، ط.الأولى ، ١٣٨٤هـ ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

١٦ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ، (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي) ، ط .الأولى ، ١٤٠٣هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٧ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ، (محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ١١٧٢ـ١٢٥٠هـ) ، بتحقيق/ عبد الرحمن بن يحي المعلمي، ط.الثانية ، ١٣٩٢هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١٨ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، (محمد يعقوب الفيروز آبادي) ، بترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، ط.الثانية ، ١٤٠٧هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٩ـ الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني ، (أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني،٢٧٧ـ٣٦٥هـ)، بتحقيق/يحيى مختار غزاوي، ط.الثالثة ، ١٤٠٩ هـ= ١٩٨٨ م ، دار الفكر ، بيروت .

٢٠ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، (محمد بن حبان البستي ، ت ٣٥٤هـ) ، بتحقيق / محمود إبراهيم زايد ، ط.الثانية ،١٤٠٢هـ ، دار الوعي، حلب .

٢١ـ مختار الصحاح للرازي ، (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي) ، بترتيب / السيد محمود خاطر، د. ط ، د. ت ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة ، القاهرة .

٢٢ـ مختصر الكامل في الضعفاء ، (أحمد بن علي المقريزي)، بتحقيق/ أيمن ابن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ، مكتبة السنة ، القاهرة .

٢٣- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، (أبي الحسن بن فارس بن زكريا) ، بتحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ .

٢٤- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، (لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، المعروف بابن الصلاح ، ٥٧٧ - ٦٤٣هـ)، بتحقيق / نور الدين عتر ، د. ط ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .

٢٥- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، (أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي) ، بتحقيق / علي محمد البجاوي ، بدون تاريخ ، دار المعرفة، بيروت .

٢٦- النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي) ,عبد الله بن بهادر الزركشي) . بتحقيق/ زين العابدين بن محمد ، ط.الأولى ١٤١٩هـ ، مكتبة أضواء السلف ، الرياض .

*****